وقد اندرج طرف منه في ضمن ما تقدم فأول ما عليه تحقيق الإخلاص والحذر من أن يتخذه وصلة إلى شيء من الأغراض الدنيوية .

روينا عن (حماد بن سلمة) Bه أنه قال : من طلب الحديث لغير ا مكر به .

وروينا عن (سفيان الثوري) Bه قال : ما أعلم عملا هو أفضل من طلب الحديث لمن أراد ا به . وروينا نحوه عن (ابن المبارك) Bه .

ومن أقرب الوجوه في إصلاح النية فيه : ما روينا عن (أبي عمرو إسماعيل بن نجيد) : أنه سأل (أبا جعفر أحمد بن حمدان) وكانا عبدين صالحين فقال له : بأي (144) نية أكتب الحديث ؟ فقال : ألستم تروون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟ قال : نعم . قال : فرسول ا - A - رأس الصالحين .

وليسأل ا تبارك وتعالى التيسير والتأييد والتوفيق والتسديد وليأخذ نفسه بالأخلاق الزكية والآداب المرضية . فقد روينا عن (أبي عاصم النبيل) قال : من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدين فيجب أن يكون خير الناس .

وفي السن الذي يستحب فيه الابتداء بسماع الحديث وبكتبته اختلاف سبق بيانه في أول النوع الرابع والعشرين .

وإذا أخذ فيه فليشمر عن ساق جهده واجتهاده ويبدأ بالسماع من أسند شيوخ مصره ومن الأولى فالأولى من حيث العلم أو الشهرة أو الشرف أو غير ذلك .

وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره .

روينا عن يحيى بن معين أنه قال : أربعة لا يؤنس منهم رشد : حارس الدرب ومنادي القاضي وابن المحدث ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث .

وروينا عن (أحمد بن حنبل) Bه أنه قيل له : أيرحل الرجل في طلب العلو ؟ فقال : بلى وا شديدا لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن (عمر Bه) فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى (عمر Bه) فيسمعانه منه وا أعلم .

وعن إبراهيم بن أدهم Bه أنه قال : إن ا تعالى يدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث .

ولا يحملنه الحرص والشره على التساهل في السماع والتحمل والإخلال بما يشترط عليه في ذلك على ما تقدم شرحه .

وليستعمل ما يسمعه من الأحاديث الواردة بالصلاة والتسبيح وغيرهما من الأعمال الصالحة

فذلك زكاة الحديث على ما روينا عن العبد الصالح (بشر بن الحارث الحافي) Bه . وروينا عنه أيضا أنه قال : يا أصحاب الحديث أدوا زكاة هذا الحديث اعملوا من كل مأتي حديث بخمسة أحاديث .

(145) وروينا عن (عمرو بن قيس الملائي) Bه قال : إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله .

وروينا عن (وكيع) قال : إذا أرت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

وليعظم شيخه ومن يسمع منه فذلك من إجلال الحديث والعلم ولا يثقل عليه ولا يطول بحيث يضجره فإنه يخشى على فاعل ذلك أن يحرم الانتفاع . وقد روينا عن (الزهري) أنه قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب .

ومن ظفر من الطلبة بسماع شيخ فكتمه غيره لينفرد به عنهم كان جديرا بأن لا ينتفع به وذلك من اللؤم الذي يقع فيه جهلة الطلبة الوضعاء . ومن أول فائدة طلب الحديث الإفادة روينا عن (مالك) Bه أنه قال : من بركة الحديث إفادة بعضهم بعضا .

وروينا عن إسحاق بن إبراهيم راهويه : أنه قال لبعض من سمع منه في جماعة : انسخ من كتابهم ما قد قرأت . فقال : إنهم لا يمكنونني . قال : إذا وا لا يفلحون قد رأينا أقواما منعوا هذا السماع فوا ما أفلحوا ولا أنجحوا .

قلت : وقد رأينا نحن أقواما منعوا السماع فما أفلحوا ولا أنجحوا ونسأل ا العافية وا أعلم .

ولا يكن ممن يمنعه الحياء أو الكبر عن كثير من الطلب . وقد روينا عن (مجاهد) Bه أنه قال : لا يتعلم مستحي ولا مستكبر . وروينا عن (عمر بن الخطاب) وابنه Bهما أنهما قالا : من رق وجهه رق علمه .

ولا يأنف من أن يكتب عمن دونه ما يستفيده منه . روينا عن (وكيع بن الجراح) Bه أنه قال : لا ينبل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وليس بموفق من ضيع شيئا من وقته في الاستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة وصيتها .

(146) وليس من ذلك قول (أبي حاتم الرازي) : إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش .

وليكتب وليسمع ما يقع إليه من كتاب أو جزء على التمام ولا ينتخب . فقد قال (ابن المبارك) Bه : ما انتخبت على عالم قط إلا ندمت . وروينا عنه أنه قال : لا ينتخب على عالم إلا بذنب . وروينا - أو بلغنا - عن (يحيى بن معين) أنه قال : سيندم المنتخب في الحديث حين لا تنفعه الندامة .

فإن ضاقت به الحال عن الاستيعاب وأحوج إلى الانتقاء والانتخاب تولى ذلك بنفسه إن كان أهلا مميزا عارفا بما يصلح للانتقاء والاختيار . وإن كان قاصرا عن ذلك استعان ببعض الحفاظ

لينتخب له . وقد كان جماعة من الحفاظ متصدين للانتقاء على الشيوخ والطلبة تسمع وتكتب بانتخابهم منهم : (إبراهيم بن أرمة الأصبهاني) و (أبو عبد ا الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل) و (أبو الحسن الدارقطني) و (أبو بكر الجعاني) في آخرين .

وكانت العادة جارية برسم الحافظ علامة في أصل الشيخ على ما ينتخبه فكان (النعيمي أبو الحسن) يعلم بصاد ممدودة و (أبو محمد الخلال) بطاء ممدودة و (أبو الفضل الفلكي) بصورة همزتين وكلهم يعلم بحبر في الحاشية اليمنى من الورقة وعلم (الدارقطني) في الحاشية اليسرى بخط عريض بالحمرة . وكان (أبو القاسم اللالكائي الحافظ) يعلم بخط صغير بالحمرة على أول إسناد الحديث ولا حجر في ذلك ولكل الخيار .

ثم لا ينبغي لطالب الحديث : أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون معرفته وفهمه فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل وبغير أن يحصل في عداد (147) أهل الحديث بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين المتحلين بما هم منه عاطلون .

أنشدني (أبو المظفر بن الحافظ أبي سعد السمعاني C) - لفظا - بمدينة مرو قال : أنشدنا والدي - لفظا - أو قراءة عليه - قال : أنشدنا محمد بن ناصر السلامي من لفظه قال : أنشدنا الأديب الفاضل فارس بن الحسين لنفسه : .

يا طالب العلم الذي ذهبت بمدته الرواية .

كن في الرواية ذا العناية بالرواية والدراية .

وارو القليل وراعه فالعلم ليس له نهاية .

ولتقدم العناية بالصحيحين ثم بسنن أبي داود وسنن النسائي وكتاب الترمذي ضبطا لمشكلها وفهما لخفي معانيها ولا يخدعن عن كتاب السنن الكبير للبيهقي فإنا لا نعلم مثله في بابه .

ثم بسائر ما تمس حاجة صاحب الحديث إليه من كتب المساند كمسند أحمد .

ومن كتب الجوامع المصنفة في الأحكام المشتملة على المسانيد وغيرها وموطأ مالك هو المقدم منها .

ومن كتب علل الحديث ومن أجودها كتاب (العلل) عن (أحمد بن حنبل) وكتاب (العلل) عن (الدارقطني) .

ومن كتب معرفة الرجال وتواريخ المحدثين ومن أفضلها (تاريخ البخاري الكبير) و (كتاب الجرح والتعديل) (لابن أبي حاتم) .

ومن كتب الضبط لمشكل الأسماء ومن أكملها كتاب (الإكمال) (لأبي ناصر بن ماكولا) .

وليكن كلما مر به اسم مشكل أو كلمة من حديث مشكلة بحث عنها وأودعها قلبه فإنه يجتمع له بذلك علم كثير في يسر .

وليكن تحفظه للحديث على التدريج قليلا قليلا مع الأيام والليالي فذلك أحرى بأن يمتع

بمحفوظه .

(148) وممن ورد ذلك عنه من حفاظ الحديث المتقدمين (شعبة) و (ابن علية) و (معمر) .

وروينا عن معمر قال : سمعت الزهري يقول من طلب العلم جملة فاته جملة وإنما يدرك العلم حديثا وحديثين .

وليكن الإتقان من شأنه فقد قال (عبد الرحمن بن مهدي) : الحفظ الإتقان .

ثم إن المذاكرة بما يتحفظه من أقوى أسباب الإمتاع به . روينا عن (علقمة النخعي) قال : تذاكروا الحديث فإن حياته ذكره . وعن (إبراهيم النخعي) قال : من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به ولو أن يحدث به من لا يشتهيه .

وليشتغل بالتخريج والتأليف والتصنيف إذا استعد لذلك وتأهل له فإنه - كما قال (الخطيب الحافظ) - يثبت الحفظ ويذكي القلب ويشحذ الطبع ويجيد البيان ويكشف الملتبس ويكسب جميل الذكر ويخلده إلى آخر الدهر وقل ما يمهر في علم الحديث ويقف على غوامضه ويسبين الخفي من فوائده إلا من فعل ذلك . وحدث الصوري الحافظ (محمد بن علي) قال : رأيت (أبا محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ) في المنام فقال لي : يا (أبا عبد ا) خرج وصنف قبل أن يحال بينك وبينه ها أنا ذا تراني قد حيل بيني وبين ذلك .

وللعلماء بالحديث في تصنيفه طريقتان : .

إحداهما : التصنيف على الأبواب وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيرها وتنويعه أنواعا وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب فباب .

والثانية : تصنيفه على المسانيد وجمع حديث كل صحابي وحده وإن اختلفت أنواعه . ولمن اختار ذلك أن يرتبهم على حروف المعجم في أسمائهم . وله أن يرتبهم على القبائل فيبدأ ببني هاشم ثم بالأقرب فالأقرب نسبا من رسول ا - A - . وله أن يرتب على سوابق الصحابة فيبدأ بالعشرة ثم بأهل بدر ثم بأهل الحديبية ثم بمن أسلم وهاجر بين الحديبية وفتح مكة ويختم بأصاغر الصحابة كأبي الطفيل ونظرائه ثم بالنساء وهذا أحسن والأول أسهل . وفي ذلك من وجوه الترتيب غير ذلك .

(149) وثم إن من أعلى المراتب في تصنيفه تصنيفه معللا بأن يجمع في كل حديث طرفه واختلاف الرواة فيه كما فعل (يعقوب بن شيبة) في مسنده . ومما يعتنون به في التأليف جمع الشيوخ أي جمع حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على انفراده . قال (عثمان بن سعيد الدارمي) : يقال من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة فهو مفلس في الحديث : (سفيان) و (شعبة) و (مالك) و (حماد بن زيد) و (ابن عيينة) وهم أصول الدين .

وأصحاب الحديث يجمعون حديث خلق كثير غير الذين ذكرهم الدارمي منهم : (أيوب السختياني

) و (الزهري) و (الأوزاعي) .

ويجمعون أيضا التراجم وهي أسانيد يخصون ما جاء بها بالجمع والتأليف مثل : ترجمة مالك عن نافع عن ابن عمر وترجمة سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة وترجمة هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة Bها في أشباه لذلك كثيرة .

ويجمعون أيضا أبوابا من أبواب الكتب المصنفة الجامعة للأحكام فيفردونها بالتأليف فتصير كتبا مفردة نحو باب رؤية ا D وباب رفع اليدين وباب القراءة خلف الإمام وغير ذلك .

ويفردون أحاديث فيجمعون طرقها في كتب مفردة نحو : طرق حديث قبض العلم وحديث الغسل يوم الجمعة وغير ذلك . وكثير من أنواع كتابنا هذا قد أفردوا أحاديثه بالجمع والتصنيف .

وعليه في كل ذلك تصحيح القصد والحذر من قصد المكاثرة ونحوه .

بلغنا عن (حمزة بن محمد الكناني) : أنه خرج حديثا واحدا من نحو مأتي طريق فأعجبه ذلك فرأى (يحيى بن معين) في منامه فذكر له ذلك فقال له : أخشى أن يدخل هذا تحت : (ألهاكم التكاثر)) .

ثم ليحذر أن يخرج إلى الناس ما يصنفه إلا بعد تهذيبه وتحريره وإعادة النظر فيه وتكريره . (150) .

وليتق أن يجمع ما لم يتأهل بعد لاجتناء ثمرته واقتناص فائدة جمعه كيلا يكون حكمه ما رويناه عن (علي بن المديني) قال : إذا رأيت الحدث أول ما يكتب الحديث يجمع حديث الغسل وحديث : (من كذب) فاكتب على قفاه (لا يفلح) .

ثم إن هذا الكتاب مدخل إلى هذا الشأن مفصح عن أصوله وفروعه شارح لمصطلحات أهله ومقاصدهم ومهماتهم التي ينقص المحدث بالجهل بها نقصا فاحشا فهو إن شاء ا جدير بأن تقدم العناية به ونسأل ا سبحانه فضله العظيم وهو أعلم